ملخص بحث لغوي عنوانه:

العبارة الصريحة في إيضاح الفاء الفصيحة

د. أحمد عيد عبد الفتاح حسن

شبكة الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net
شبكة الألوكة

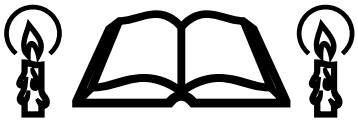

مُلَخَّص بَحْث لُغَوِيٍّ

عُنْوَانُه:

الْعِبَارَةُ الصَّرِيحَةُ

فِي إِيضَاحِ الْفَاءِ الْفَصِيحَةِ

تأليف

د/ أحمد عيد عبد الفتاح حسن

أستاذ اللغويات ووكيل كلية اللغة العربية بالقاهرة للدراسات العليا

والبحوث، جامعة الأزهر

١٤٤٥هـ - ٢٠٢٣م

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أُلْقِيَ هذا الْمُلخَّصُ في الندوة العلمية التي عقدتها كلية اللغة العربية بالقاهرة للاحتفاء باليوم العالمي للغة العربية، الموافق يوم الاثنين ١٨ من ديسمبر عام ٢٠٢٣م، وكان عنوانها:

(التراث اللغوي والتاريخي في مرآة العصر)

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ للهِ الْفَتَّاحِ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على نَبِيِّنَا دَاعِي الْفَلاحِ، وعَلَى آل بَيْتِهِ أُولِي التُّقَى والصَّلاحِ، وبعد...

فالْمُتَتَبِّعُ مَسِيرَةَ الْبَحْثِ اللُّغَوِيِّ في تُراثِ الْعَرَبِيَّةِ، الَّتِي بَدَأَهَا شَيْخُنَا الأَوَّلُ أَبُو الأَسْوَدِ الدُّؤَلِيُّ، يَجِدُ أَنَّهَا مَسِيرَةٌ مَيْمُونَةٌ مَحْمُودَةٌ، قَدْ لَقِيَتِ الْعِنَايَةَ والاهْتِمَامَ والْقِيَامَ بالْوَاجِبِ نَحْوَهَا، مِنْ أَعْلامِ كُلِّ عَصْرٍ، وفِي كُلِّ مِصْرٍ، يَتَعَاقَبُونَ جَمِيعًا عَلَى وَضْعِ بَعْضِ الْمَعالِمِ الْمُنَاسِبَةِ الَّتِي يَقْتَضِيهَا كُلُّ عَصْرٍ، وتُنَاسِبُ عُقُولَ أَبْنَاءِ الْعَصْرِ.

وفِي كُتُبِ تُرَاثِ الْعَرَبِيَّةِ إِشَارَاتٌ قَلِيلَةٌ إِلَى بَعْضِ الْقَضَايَا والأَدَوَاتِ والإِشْكَالاتِ والآراءِ والدِّلالاتِ، ولا رَيْبَ أَنَّهَا تَحْتَاجُ مِنَ الباحِثِينَ إلى التَّتَبُّعِ والاسْتِقْصَاءِ فِي كُتُبِ الْقَوَاعِدِ والأُصُولِ، ثُمَّ الانطِلاقِ بِها مِنْ حَيِّزِ النَّظَرِيَّةِ إِلَى مَيدَانِ التَّطْبِيقِ عَلَى النُّصُوصِ الْفَصِيحةِ، لِبَيَانِ وَظِيفَتِهَا، وعِلَّةِ اسْتِعْمَالِهَا، ودَوْرِهَا في بِناءِ النُّصُوصِ، والإِفْصاحِ عن مَقَاصِدِها.

وكان من تلك الإِشَاراتِ الْقَلِيلَةِ ما جاء في كُتُبِ التُّراثِ عن الفاءِ الفَصِيحَة، وقد كَتَبْتُ مقالًا عنها فيما مضى، نُشِرَ عَلَى موقع الألوكة بتاريخ: ٢٠١٥/١٢/٣٠م، وكان عنوانه: (الفاء الفصيحة: ضابطها وتطبيقاتها)، ثم رأيتُ – بعد اطِّلاعِي على بَعْضِ ما نُشِرَ عنها مُؤَخَّرًا – من الواجبِ عليَّ نحوَ تراثِ العربيةِ في عَصْرِنا أن أُجَلِّيَ الفاءَ الفصيحةَ نظريةً

وتطبيقًا بطريقةٍ تُناسِبُ عُقُولَ أبْنَاءِ عَصْرِنا، فجاء هذا البحثُ (الْعِبَارَةُ الصَّرِيحَةُ فِي إِيضَاحِ الْفَاءِ الْفَصِيحَةِ) مشتملًا على أربعة مباحث بعد تمهيدٍ، عُنْوَانُهُ (الْفَصَاحَةُ وبَعْضُ مَوْصُوفَاتِهَا)، وهي:

المبحث الأول: الفاءُ الْفَصِيحَةُ ضابطًا وتسميةً ومَوْرِدًا.

المبحث الثاني: من مواطن الفاء الفصيحة في القرآن الكريم.

المبحث الثالث: من مواطن الفاء الفصيحة في الحديث الشريف.

المبحث الرابع: من مواطن الفاء الفصيحة في الشعر العربي.

ثم جاءت الخاتمةُ مشتملةً على أهم النتائج التي تَرَتَّبَتْ على تلك الْمُقَدِّماتِ.

وأَقُولُ لحضراتِكم: قَدِ اتَّصَفَ بِالْفَصَاحَةِ من بين حروفِ المعاني الْفَاءُ الدَّالَّةُ على مُقَدَّرٍ قَبْلَهَا، يَكُونُ سَبَبًا لما بَعْدَهَا، فقيل: الْفَاءُ الْفَصِيحَةُ، و(الْفَصِيحَة) على وزن (الْفَعِيلَة)، وهي بمعنى اسْمِ الفاعلِ من غيرِ الثلاثيِّ (الْمُفْعِلَة)، فـ(الْفَاءُ الْفَصِيحَةُ) بمعنى: الْفَاء الْمُفْصِحَة.

وهي: الْفَاءُ التي تُفْصِحُ عن محذوفٍ في الكَلَامِ قبلها يَكُونُ سَبَبًا للمذكورِ بَعْدَها[1].

(1) ينظر: الكليات لأبي البقاء الكفوي، ص ١٠٤٩.

وَسُمِّيَت فَصِيحَةً؛ لأنَّهَا أَفْصَحَتْ عن اللَّفْظِ الْمُقَدَّرِ قبلَها، وأظْهَرَتْ أنَّ في الكلامِ شيئًا محذوفًا، تَتَوقَّفُ على مراعاتِهِ استِقَامةُ الْمَعْنَى، فمَبْنَاها على الحذفِ اللازمِ. وكَمَالُ حُسْنِها وتَمامُ فَصَاحَتِها في كونها مَبْنِيَّةً على التَّقْدِير، مُنْبِئَةً عَن المحذوف[١].

وعلماء العربية في تحديدِ موطن هذه الفاء في النصوصِ العربية على مذهبين:

المذهب الأول: مَذْهَبُ الإمَامِ الزَّمَخْشَرِيّ (ت٥٣٨هـ) الَّذِي سَمَّاهَا بِهَذَا الاسْمِ: أنَّ الْفَاءَ الْفَصِيحَةَ "لا تَقَعُ إلا في كَلَامٍ بَلِيغٍ"[٢]، وهي الْفَاءُ الدَّالَّةُ على مَحْذُوفٍ قَبْلَهَا في الكلامِ، يَكُونُ سَبَبًا لِمَا بَعْدَهَا، وهذا المحذوفُ له تَقْدِيرانِ، والْفَاءُ فِيهِما نَوْعَانِ:

التَّقْدِيرُ الأوَّلُ: أن يَكُونَ الْمَحْذُوفُ شرطًا، فتكون الفاءُ فاءَ الجوابِ، ومَدْخُولُها جملةُ الجوابِ الْمُسَبَّبَةُ عن جملةِ الشرطِ المقدرةِ مع الأداةِ قَبْلَها؛ "فتكون الفاءُ إذ ذاك رابطةً لجملةِ الجزاءِ بجملةِ الشرطِ المحذوفةِ هي وحرف الشرط"[٣].

التَّقْدِيرُ الثَّاني: أن يَكُونَ الْمَحْذُوفُ غيرَ شرطٍ، فتكونَ الفاءُ الداخلةُ

---

(١) ينظر: عِنَايةُ القَاضِي وكِفَايةُ الرَّاضِي: حاشية شهاب الدين الخفاجي عَلَى تفْسِيرِ البَيضَاوي٣/٢٢٨، والكليات ٦٧٦.

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل١/١٤٤.

(٣) نواهد الأبكار وشوارد الأفكار للسيوطي(حاشية على تفسير البيضاوي)٢/٢٤٧.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

على الجملةِ الْمُسَبَّبة عن جملةٍ محذوفةٍ قبلها هي الفاءَ العاطفةَ المُفيدةَ للتعقيب.

ويَشْمَلُ الفاءَ في الوجهَيْنِ معًا اسمُ الفاءِ الْفَصِيحَةِ، وقد قَدَّرَ الإمامُ الزمخشريُّ ذلك في آياتٍ، منها:

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[1]، ففي الآية الكريمة ثلاثُ فاءاتٍ:

الفاءُ الأولى في قَوْلِهِ: ﴿ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ ﴾؛ للدِّلالةِ على السَّبَبِيَّةِ؛ لأنَّ الظلمَ سَبَبُ التوبةِ.

والفاءُ الثانيةُ في قَوْلِهِ: ﴿ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ﴾؛ للدِّلالةِ على التَّعْقِيبِ، والمعنى: فتُوبُوا فأَتْبِعُوا التَّوْبَةَ الْقَتْلَ تَتِمَّةً لتَوْبَتِكُم.

والْفَاءُ الثَّالِثَةُ في قَوْلِهِ: ﴿ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ﴾ هي الْفَاءُ الْفَصِيحَةُ التي أَفْصَحَتْ عن محذوفٍ قبلها، وله وجهان:

---

(١) سورة البقرة – الآية : ٥٤.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أحدهما: أنَّ يُقَدَّرَ هذا الْمَحْذُوفُ شرطًا مُنْتَظَمًا في كَلامِ موسى عليه السلام، وهو محذوفٌ مع أداتِهِ، والْفَاءُ فَاءُ الْجَوَابِ، والتقدير: فإنْ فَعَلْتُمْ ذَلكَ فقد تابَ عليكم.

الثاني: أَنْ يَكُونَ الكلامُ خِطَابًا مِنَ اللَّهِ ﷻ لَهُمْ عَلَى طَرِيقَةِ الالْتِفَاتِ، وهذا الْمَحْذُوفُ سببٌ للمذكور، والْمَذْكُورُ الْمُسَبَّبُ معطوفٌ عليه بالفاء المفيدةِ للتعقيبِ، فَيَكُونَ التَّقْدِيرُ: فَفَعَلْتُمْ مَا أَمَرَكُمْ بِهِ مُوسَى عليه السلام، فَتَابَ عَلَيْكُمْ بَارِئُكُمْ(١).

المذهب الثاني: أنَّ الفَاءَ الْفَصِيحَةَ هي "الْفَاءُ الْعَاطِفَةُ إِذْ لَمْ يَصْلُحِ الْمَذْكُورُ بَعْدَهَا لأَنْ يَكُونَ مَعْطُوفًا عَلَى الْمَذْكُورِ قَبْلَهَا؛ فَيَتَعَيَّنُ تَقْدِيرُ مَعْطُوفٍ آخَرَ بَيْنَهُمَا يَكُونُ مَا بَعْدَ الْفَاءِ مَعْطُوفًا عَلَيْهِ، وَهَذِهِ طَرِيقَةُ السَّكَّاكِيِّ (ت٦٢٦هـ) فِيهَا، فقد قَالَ: "وانْظُرْ إلى الفاءِ التي تُسَمَّى فاءً فَصِيحَةً في قَوْلِهِ ﷻ: ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ عِندَ بَارِئِكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۚ﴾(٢)، كَيْفَ أَفادَتْ (فامْتَثَلْتُمْ فتابَ عَلَيْكُمْ)، وفي قَوْلِهِ: ﴿فَقُلۡنَا ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنفَجَرَتۡ﴾(٣) مُفِيدَةٌ (فضَرَبَ

(١) ينظر : الكشاف١/١٤٠، ومفاتيح الغيب٣/٥١٨، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري ١/٢٨٩، والتحرير والتنوير١/٥١٩.

(٢) سورة البقرة – من الآية : ٥٤.

(٣) سورة البقرة – من الآية : ٦٠.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فانْفَجَرَتْ)"[١]. فهذه فَاءُ التَّرْتِيبِ والتَّعْقِيبِ الْعَاطِفَةُ الَّتِي يُحْذَفُ قَبْلَهَا الْمَعْطُوفُ عَلَيْهِ، مَعَ كَونه سَببًا للمعطوفِ.

ومن أثرُ ذلك الاختلافِ: أنَّنَا نَقِفُ عَلَى اخْتِلافِ الْعِبَارَةِ فِي تَقْدِيرِ الْمَحْذُوفِ قَبْلَ الْفَاءِ، عندَ بَعْضِ الْمَعْنِيِّينَ بِإِعْرَابِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وبيَانِ مَعَانِيه، وعِندَ بَعْضِ شُرَّاحِ الْحَدِيثِ، وعِندَ بَعْضِ شُرَّاحِ الشِّعْرِ، من خلالِ تأويلِهم النُّصُوصَ العاليةَ فصاحةً وبلاغةً وبيانًا، وتَحْلِلها تَحْلِيلًا مناسبًا.

ومن مواطن الفاء الفصيحة في القرآن الكريم

(أ)- قـــول الله ﷻ: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ﴾[٢].

فالْفَاءُ فِي قَوْلِهِ: ﴿ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ﴾ أفْصَحَتْ عن جملةٍ شرطيَّةٍ محذوفةٍ مع الأداةِ قبلها، والتَّقْدِيرُ: فإن ضَرَبْتَ فقد انْبَجَسَتْ منه، أو أفْصَحَتْ عن جُمْلَةٍ مُقَدَّرَةٍ قَبْلَهَا، هي عِلَّةٌ للمَعْطُوفَةِ بَعْدَها، والتقدير: فَضَرَب مُوسَى عليه السلام بِعَصَاهُ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَة عَيْنًا، فاكتفى بالْمُسَبَّبِ الذي هو الانبجاسُ عن السَّبَبِ الذي هو ضَرْبُ مُوسَى عليه السلام

(١) مفتاح العلوم ص ٤٩٤.

(٢) سورة الأعراف – من الآية : ١٦٠.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الْحَجَرَ بعَصَاهُ.

وهـذه الجملـةُ المحذوفـةُ معطوفـةٌ علـى (أوْحَيْنَـا)، وهـذا الحـذفُ لـ(فَضَرَب مُوسَى عليه السلام بِعَصَاهُ الْحَجَر) دالٌّ على سرعةِ امتثالِ موسى عليه السلام للأمـر، حـتى إنَّ أثَـرَ الضَّـرْبِ – وهـو الانبجـاسُ– لم يتـأخر عـن الأَمْـرِ بالضَّرْبِ، وفيه دلالةٌ على أنَّ ضَرْبَ موسَى عليه السلام لم يكنْ مُؤَثِّرًا، يَتَوَقَّفُ عليه الْفِعْلُ من ذاتِهِ، بل هُوَ سَبَبٌ عَادِيٌّ، والفِعْلُ إنَّما هو بالقدرة الإلهية[1].

(ب)– وقـول ﷻ: ﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴾[2]. الفَـاءُ في قَوْلِهِ: ﴿ فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴾ أفْصَحَتْ عن مَعْطُوفٍ عَلَيْهِ محذوفٍ قَبْلَهَا، والتقدير: فذَهَبَ إلى فِرْعَوْنَ فأَرَاهُ..، فحَذَفَ (فذَهَبَ إلى فِرْعَوْنَ)، واكتفى بالْمُسَبَّبِ، الذي هو الإراءةُ عن السَّبَبِ، الذي هو الذَّهَابُ إليه.

فـلا رَيْـبَ أَنَّ صِحَةَ الْكَلام واستقامة المعنى اقْتَضَتا هَذَا الْمُقَدَّرَ في الكلامِ قَبْلَ الفَاءِ الَّتِي أنبَأَتْ عنه، وَهَذَا ما يُسَمَّى عِنْد الأُصُولِيِّينَ بـ: دلالَة الاقْتِضَاء (أو لحن الخطاب)، الذي يَعْنُونَ به: دلالةُ اللَّفْظِ على ما يَتَوَقَّفُ عليه صِدْقُ الْمُتَكَلِّمِ، ومن شَواهِدِهِمْ لها: قول الله ﷻ: ﴿ وَمَن كَانَ

(١) ينظـر : حاشـية الصـبان ١١٦/٣، والبحـر المديـد في تفسـير القـرآن المجيـد لابـن عجيبة٢٧٢/٢.

(٢) سورة النازعات – الآيات ١٧ – ٢٠.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾[١]، فقَوْلُهُ: ﴿ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ يَدُلُّ على مَحْذُوفٍ قَبْلَ الْفَاءِ، وقَدْ جاءَ ما بَعْدَهَا نَتِيجَةً مُتَرَتِّبَةً عَلَيهِ، فالتَّقْدِيرُ: ومَن كانَ مَرِيضًا أَو عَلَى سَفَرٍ فأفْطَرَ فعَلَيْهِ صيامُ عِدَّةٍ من أيَّامٍ أُخَرَ. فلا بُدَّ من مراعاةِ هذا الْمُقَدَّر في الكَلامِ؛ لأنَّ وجوبَ الصِّيَامِ ثانٍ عن الإفْطارِ؛ إذ لا يَجِبُ الصَّوْمُ بنفس المرضِ والسَّفَر[٢].

وأَخَذَ بِظَاهِرِ الآيَةِ داودُ الظَّاهريُّ (ت٢٧٠هـ)، ولم يَنْظُرْ إلى الْمَحْذُوفِ قَبْلَ الْفَاءِ؛ فأوْجَبَ الْقَضَاءَ على الْمَرِيضِ والْمُسافِرِ، سَوَاءٌ أفْطَرَا أَمْ لَمْ يُفْطِرَا[٣]. قال ابْنُ الْعَرَبِيِّ (ت٥٤٣هـ): "وَقَدْ عُزِيَ إلَى قَوْمٍ: إنْ سَافَرَ فِي رَمَضَانَ قَضَاهُ، صَامَهُ أَوْ أَفْطَرَهُ، وَهَذَا لَا يَقُولُ بِهِ إلَّا ضُعَفَاءُ الْأَعَاجِمِ؛ فَإِنَّ جَزَالَةَ الْقَوْلِ وَقُوَّةَ الْفَصَاحَةِ تَقْتَضِي "فَأَفْطَرَ"، وَقَدْ ثَبَتَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ الصَّوْمُ فِي السَّفَرِ قَوْلًا وَفِعْلًا"[٤].

*****

*

(١) سورة البقرة – من الآية ١٨٥.

(٢) ينظر: شرح تنقيح الفصول للقرافي ص ٥٥، ورفع النقاب عن تنقيح الشهاب للشوشاوي١/٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠.

(٣) ينظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لضياء الدين بن الأثير٢/٩٨.

(٤) أحكام القرآن١/١١٢.

ومن مواطن الفاء الفصيحة في الحديث الشريف

(أ)- قَوْلُ أَنَسٍ ﷺ: "بَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يَخْطُبُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَقَامَ رَجُلٌ: فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَسْقِيَنَا، فَتَغَيَّمَتِ السَّمَاءُ، وَمُطِرْنَا حَتَّى مَا كَادَ الرَّجُلُ يَصِلُ إِلَى مَنْزِلِهِ، فَلَمْ تَزَلْ تُمْطِرُ إِلَى الْجُمُعَةِ الْمُقْبِلَةِ، فَقَامَ ذَلِكَ الرَّجُلُ أَوْ غَيْرُهُ فَقَالَ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَصْرِفَهُ عَنَّا فَقَدْ غَرِقْنَا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا، فَجَعَلَ السَّحَابُ يَتَقَطَّعُ حَوْلَ الْمَدِينَةِ، وَلَا يُمْطِرُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ"(١).

الْفَاءُ فِي قَوْلِهِ: "(فَتَغَيَّمَتِ السَّمَاءُ) هِي الْفَاءُ الْفَصِيحَةُ؛ فقَدْ أفْصَحَتْ عن مَعْطُوفٍ عَلَيْهِ مَحْذُوفٍ قَبْلَهَا، يَسْتَقِيمُ به الْكَلَامُ، ويَتَّضِحُ بِهِ الْمَعْنَى، ويَنتَشِرُ منه الْحُسْنُ، ويَفُوحُ منه عِطْرُ الْبَيَانِ؛ لكَوْنِ مَا بَعْدَ الْفَاءِ مُسَبَّبًا عَنْهُ، وقَدْ جاءَ هَذَا المحذوفُ في كلامٍ خَبَرِيٍّ، فالتقديرُ: فَدَعَا اللهَ ﷻ أَنْ يَسْقِيَنَا، فاسْتَجَابَ اللهُ ﷻ دُعَاءَهُ، فَتَغَيَّمَتِ السَّمَاءُ...(٢).

وفي هذا الْحَذْفِ دِلالَةٌ جَلِيَّةٌ عَلَى سُرْعَةِ اسْتِجَابَةِ اللهِ ﷻ دُعَاءَ نَبِيِّهِ ﷺ، حَتَّى كَأَنَّ تَغَيُّمَ السَّماءِ جَاءَ مُصاحِبًا طَلَبَ الرَّجُلِ دُعَاءَ النَّبِيِّ ﷺ لَهُم بالسُّقْيَا.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، بَاب الدُّعَاءِ غَيْرَ مُسْتَقْبِلِ الْقِبْلَةِ، ح رقم ٦٣٤٢.

(٢) ينظر: الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري٢٢/١٤٧، ١٤٨، وعمدة القاري في شرح صحيح البخاري للعيني٢٢/٣٠١.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

(ب)- قَوْلُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-: «كَانَ عَلَى ثَقَلِ النَّبِيِّ ﷺ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: كَرْكَرَةُ، فَمَاتَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "هُوَ فِي النَّارِ" فَذَهَبُوا يَنْظُرُونَ فَوَجَدُوا عَبَاءَةً قَدْ غَلَّهَا»(١).

الْفَاءُ فِي قَوْلِهِ: (فَذَهَبُوا) فَصِيحَةٌ، أَفْصَحَتْ عن مَعْطُوفٍ عَلَيْهِ مَحْذُوفٍ قَبْلَهَا، والتَّقْدِيرُ: سَمِعُوا ذَلِكَ مِنْهُ ﷺ، وَحَقَّقُوا أَنَّ سَبَبَ وُرُودِ هَذَا الرَّجُلِ الْمُسَمَّى (كَرْكَرَةَ) النَّارَ هُوَ الْغُلُولُ مِنَ الْغَنِيمَةِ، مَعَ كَوْنِهِ كَانَ يَحْمِلُ أَمْتِعَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَيَنْقُلُهَا مِنْ مَنْزِلٍ إِلَى مَنْزِلٍ، فَذَهَبُوا يَنْظُرُونَ فِي مَتَاعِهِ فَوَجَدُوا عَبَاءَةً قَدْ خَانَهَا مِنَ الْغَنِيمَةِ(٢).

*****

*

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ، كتاب الْجِهَادِ والسِّيَرِ، بَاب الْقَلِيلِ مِنَ الْغُلُولِ، ح رقم ٣٠٧٤.

(٢) ينظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للملا الهروي٦/٢٥٨٣.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومن مواطن الفاء الفصيحة في الشعر العربي

(أ)- قَوْلُ لَبِيدِ بْنِ رَبِيعَةَ ﷺ لَمَّا بَلَغَ ثلاثين ومائة سَنَةٍ، وقَرُبَتْ وفاتُهُ يُخاطِبُ ابْنَتَيْهِ[١]: [من الطويل]

تَمَنَّى ابْنَتَايَ أَنْ يَعِيشَ أَبُوهُمَا * وَهَلْ أنَا إلَّا مِنْ رَبِيعَةَ أَوْ مُضَرْ
فَقُومَا وَقُولَا بالَّذِي قَدْ عَلِمْتُمَا * وَلَا تَخْمِشَا وَجْهًا ولَا تَحْلِقَا شَعَرْ
وقُولَا هُوَ الْمَرْءُ الَّذِي لا خَلِيلَهُ * أَضَاعَ وَلَا خَانَ الصَّدِيقَ ولا غَدَرْ
إلَى الْحَوْلِ ثُمَّ اسْمُ السَّلَامِ علَيكُمَا* ومَنْ يَبْكِ حَوْلًا كَامِلًا فَقَدِ اعْتَذَرْ

الْفَاءُ فِي قَوْلِهِ ﷺ: (فَقُومَا) فَصِيحَةٌ؛ لأَنَّهَا أَفْصَحَتْ عن شَرْطٍ محذوفٍ قَبْلَهَا، والتَّقْدِيرُ: إِذَا ثَبَتَ أَنِّي مِن رَبِيعَةَ أَمُوتُ كَمَا مَاتُوا فَقُومَا بَعْدَ مَوْتِي لِلْعَزاءِ، وقُولَا فِي رثائي مَا تَعْلَمَانِهِ من الصِّفَاتِ الْحَمِيدَةِ، وابْكِيَا إِنْ أَرَدتُمَا، وَلَا تَخْمِشَا بأَظافِرِكُمَا وَجْهًا، وَلَا تَحْلِقا شَعْرَكُمَا[٢].

وهَذَا الْحَذْفُ يُنَاسِبُ الْعُمُرَ الَّذِي بَلَغَهُ الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ ﷺ، وهُوَ ثلاثونَ ومائةُ سَنَةٍ، ويُبَيِّنُ لنا اسْتِشْعَارَهُ قُرْبَ الْوَفَاةِ، ودُنُوَّ الرَّحِيلِ، حَتَّى كأَنَّهُ قَدْ ماتَ كَمَا مَاتَ رِجالُ رَبِيعَةَ مِن قَبْلُ؛ ولِذَا يَطْلُبُ مِنَ ابْنَتَيْهِ أن تَقُومَا لِلْعَزاءِ، وأَن تَقُولَا فِي رثائِهِ مَا تَعْلَمَانِهِ، من صِفَاتٍ حَمِيدَةٍ، وأَخْلَاقٍ حَسَنَةٍ...

---

(١) ديوان لبيد بن ربيعة العامري، ص٥٠، ٥١، والعقد الفريد لابن عبد رَبِّهِ ٢/ ٣٧٠، والمقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية للعيني٣/ ١٣٠٠..

(٢) ينظر: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي٤/ ٣٤٠.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

(ب)- قولُ الْعَبَّاسِ بْنِ الأَحْنَفِ حِينَ خَرَجَ مع هارونَ الرَّشيد إلى خُرَاسَانَ، وطالَ مُقَامُهُ فيها، وشَخَصَ مِنْهَا إلى (أرمينيا)، فهَزَّهُ الشَّوْقُ إلى بغدادَ: [من البسيط]

قَالُوا: خُرَاسَانُ أقْصَى مَا يُرَاد بِنَا * ثُمَّ الْقُفُولُ فَقَدْ جِئْنَا خُرَاسَانَا[١]

فاسْتَعْمَلَ الْفَاءَ الْفَصِيحَةَ فِي قَوْلِهِ: (فَقَدْ جِئْنَا خُرَاسَانَا) فأَبانَتْ عن مُرادِهِ أفْضَلَ إبانَةٍ، ولَمَّا أَنْشَدَ أبْيَاتَهُ أَمِيرَ المؤمنين أَذِنَ له بالرجوعِ إلى وَطَنِهِ. قَالَ الزَّمخشريُّ (ت٥٣٨هـ): "فإن قُلْت: ما هذه الفَاءُ؟ وما حقيقتُها؟ قلت: هي الَّتِي فِي قَوْلِهِ:

فَقَدْ جِئْنَا خُرَاسَانَا

وحَقِيقَتُها: أنَّها جوابُ شرطٍ يَدُلُّ عليه الكلامُ، كأنَّهُ قَالَ: إنْ صَحَّ ما قُلْتُمْ مِنْ أنَّ خُراسانَ أقْصَى ما يُرادُ بنا فَقَدْ جِئْنَا خُرَاسَانَ، وآنَ لنا أنْ نَخْلُصَ"[٢].

وفي وجودِ الفاءِ الفَصِيحةِ في البيتِ دلالةٌ على حِرْصِ الشَّاعرِ الشَّدِيدِ على اسْتِنْجازِ الأمَلِ، والشَّوْقِ القاتِلِ إلى الْعَوْدِ إلى الْوَطَنِ الْمُفارَقِ،

(١) البيت في دلائل الإعجاز٩٠، والكشاف٢٧١/٣، والبحر المحيط لأبي حيان٩٣/٨، والدر المصون٥٥/٩، .

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل٤٨٧/٣.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والْمُطالَبَةِ بتنفيذِ ما وُعِدَ به، قَبْلَ أن يَبْدأَ رِحْلَتَهُ الْخُرَسانِيَّة[١].

(ج)- قَوْلُ طَرَفَةَ بْنِ الْعَبْدِ الْبَكْرِيّ: [من الطويل]

لَعَمْرُكَ مَا الأيَّامُ إِلَّا مُعَارَةٌ * فَمَا اسْطَعْتَ مِنْ مَعْرُوفِهَا فَتَزَوَّدِ[٢]

الْفَاءُ فِي قَوْلِهِ: (فَمَا اسْتَطَعْتَ مِنْ مَعْرُوفِهَا) فَصِيحَةٌ؛ لأنَّهَا أَفْصَحَتْ عن شَرْطٍ محذوفٍ قَبْلَهَا، والتقديرُ: إِذَا عَلِمْتَ أنَّ الْحَيَاةَ عَارِيَةٌ مُسْتَرَدَّةٌ فَمَا اسْتَطَعْتَ مِنْ مَعْرُوفِهَا فَتَزَوَّدْ.

وفي اسْتِعْمَالِ الْفَاءِ الفَصِيحةِ في الْبَيْتِ دِلالةٌ على رَغْبَةِ الشَّاعرِ الْقَوِيَّةِ في أن يَغْتَنِمَ الْمُخَاطَبُ الأيَّامَ والْحَيَاةَ، وأَنْ يَسْتَكْثِرَ من الْخَيْرِ والْمَعْرُوفِ قَدْرَ الْمُسْتَطَاعِ.

*****

*

(١) ينظر: من بلاغة القرآن د/أحمد البدوي، ص٥١.

(٢) البيت في ديوان طرفة بن العبد، ص٣٢، وجمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي، ص٣٤١، وشرح القصائد العشر للتبريزي، ص١٠١، وشرح أبيات مغني اللبيب لعبد القادر البغدادي ١٣١/٧.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

خاتمة

في نِهايَـةِ عبـارتي الصـريحةِ في إيضـاحِ الفـاءِ الفصـيحةِ مـن خـلالِ النصوصِ الفصيحةِ أُقَرِّر الأمورَ الآتية:

أوَّلًا- أَوَّلُ مَـنْ جَلَّـى الْفَـاءَ الْفَصِـيحَةَ مُصْـطَلَحًا، ووَظِيفَـةً، وحَـدَّدَ مَوَارِدِها في النُّصُوصِ الْعَرَبِيَّةِ تَحْدِيدًا دَقِيقًا في الآيَاتِ الْقُرآنِيَّةِ، وكَشَفَ عن سِرِّ التَّعْبِيرِ بِهَا الإمامُ الزَّمَخْشَرِيُّ.

ثانيًا- وَجْهُ كَوْنِ تِلْكَ الْفَاءِ فَصِيحةً إنباؤُهَا عَنِ الْمَحْذُوفِ قَبْلَها، وإفْصَاحُها عنه، ودِلالَتُهَا عليه، بحيثُ لو ذُكِرَ لم يكن بذلك الْحُسْنِ، مع حُسْنِ موقعها في الذوقِ، ولا يمكن التعبيرُ عمَّا في الذوق[١].

ثالثًا- الْحَذْفُ من الْكَلَامِ على سَبيلِ الإيجازِ والاخْتِصارِ، مَعَ الْعِلْمِ بالْمَحْذُوفِ مَسْلَكٌ من مَسالِكِ الْفُصَحاءِ، وطَرِيقٌ من طُرُقِ الْبُلَغاءِ. قَالَ أَبُو بَكْـرٍ الْجَصَّـاصُ (ت٣٧٠هـ): "وَإِنَّمَـا جَـازَ الْحَـذْفُ لِعِلْـمِ الْمُخَـاطَبِينَ بِالْمَحْذُوفِ، وَدَلَالَةِ الْخِطَابِ عَلَيْهِ"[٢].

رابعًا- الْجُمْلَـةُ الْمَحْذُوفـةُ قَبْـلَ الْفَـاءِ الْفَصِـيحَةِ لتَعَيُّنِهَـا وإفْصَـاحِ

---

(١) ينظر: حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي٢/١٦٥.

(٢) أحكام القرآن ١/١٥٧.

السِّياقِ عنها كالجُمْلَةِ الْمَذْكورةِ في الْكَلَامِ؛ لأنَّ المُقَدَّر في نظامِ العربيَّةِ كالثابتِ الموجودِ.

خامسًا- وجودُ الفاءِ الفصيحةِ في نصٍّ من النُّصُوصِ أَمَارَةُ فَصَاحَتِهِ، وآيَةُ بلاغَتِهِ، وحُسْنُ عِبارَتِهِ. وإذا كان النَّصُّ فَصِيحًا بليغًا على سَبِيلِ المجاز العقلي، فما بالك بالمتكلم به؟

سادسًا- الحذفُ الذي تُفْصِحُ عنه الْفَاءُ مِنَ الْحَذْفِ الَّذِي يلزم النحويَّ النَّظَرُ فيه؛ لأنَّ الصِّناعةَ النَّحْوِيَّةَ تَقْتَضِي تَقْدِيرَهُ، فالعَلَاقةُ بَيْنَ الشَّرْطِ والجوابِ، وبينَ الْمَعْطُوفِ والْمَعْطُوفِ عَلَيهِ هي عَلاقَةُ التَّضَامِّ والتَّلازُمِ، فوُجُودُ أحدِهما فِي اللَّفْظِ يَسْتَلْزِمُ وُجُودَ الآخَرِ في اللَّفْظِ أو التَّقْدِيرِ، ولا يَسْتَغْنِي أحَدُهما عن الآخَرِ.

وفي الْخِتَامِ:

الْحَمْدُ للهِ ذِي الْفَضْلِ والإنْعامِ على نِعْمَةِ التَّمَامِ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على نَبِيِّنَا خَيْرِ الأَنامِ، وعلى آلِ بَيْتِهِ أولي الْفَضْلِ والإكْرامِ، مَا صَلَّى مُسْلِمٌ وَصَامَ، وَذَكَرَ اللهَ ذَا الْجَلَالِ والإكْرَامِ.

بحمد الله تعالى